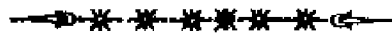


مناقب الأئمة

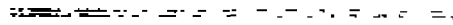
- ١- الخيرات الحسان
- ٢- مناقب الإمام أبي حنيفة
- ٣- حسن التقاضى في سيرة الإمام أبي يوسف القاضى
- ٤- الإمتاع بسيرة الإمامين
- ٥- الحاوى

كتاب

الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم
أبي حنيفة النعمان للعلامة مفتي الحجاز
الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر
الهيتمي المكي المتوفى سنة ٥٧٧هـ
رحمه الله تعالى آمين



طبع على نفقة مولوى محمد عبد الله جيتيكر
وشركائه في بومبي الهند سنة ١٣٢٤



(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)
[لصاحبها محمد إسماعيل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختص العلماء بوراة الانبياء والتخاق بأخلاقهم * وجعلهم القدوة للكافة في معاشهم ومعادهم * وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وإيضاح الحق لهم في مصادرهم ومواردهم * وباضطرار الخلق اليهم في قوام ما به حياة أرواحهم وأبدانهم * فهم الملوك لابل الملوك تحت أقدامهم وفي أسر رأيتهم وأقلامهم * وهم النجوم لابل النجوم تستمد من أنوارهم * وهم الشموس لابل الشموس تستضيء من أضوائهم * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أترقى بها في كالات معارفهم * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المذبح لمعالي مناقبهم وكلامهم * والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتضاء آثاره في سائر أحوالهم * ما سبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه في الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم * صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا من قصب السبق في مضمار الكالات الصمدانية والمعارف المصطفوية ما صاروا به القدوة الكبرى والمحجة البيضاء لاوائل الخلق وأواخرهم * صلاة وسلاماً دائماً بدوام العلماء وظهور سؤددهم وماثرهم (وبعد) فانه ورد عينا من منذ سنين بمكة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً * وجلالة ومهابة وتعظيماً * رجل من فضلاء القسطنطينية وصاحبهم لجمعه بين العلوم النقيية والعقلية * والقوانين

الطبية والرسمية * وعلوم الاخلاق والمواهب * والاحوال والمطالب * التي
 فاز بها القوم * السلمون من الاعتراض واللوم * ساداتنا الصوفية * وأئمتنا
 الطائفة الجنيديية * فساجلنا وساجلناه مساجلة الاحبة الذين هم على سرر
 متقابلون * ومن بحار المعارف يعترفون * الى أن انجز الكلام الى الأئمة
 الجامعين بين العلوم الرسمية * والمعارف الوهيبية * المتحفين بدوام الشهود
 وهوامع السكرم والجود * فقال ذلك الفاضل العالم الكامل أودت منكم مختصراً
 جامعاً * ودستوراً لطيفاً مانعاً * يشتمل على تانخيص ما أطال به الأئمة في
 مناقب الامام الاعظم والقدوة المقدم أبي حنيفة النعمان سقى الله مرقده
 شآبيب الرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فرايس الجنان * فبادرت الى امثال
 أمره المحتم وبذات الجهد في تانخيص تلك المناقب فانه المقصد الأهم فجاء
 بحمد الله مختصراً لطيفاً وأتمود جاشريفاً فكتب منه نسخة وذهب به الى
 بلده أعظم بلاد الاسلام ومحط رحال العلماء الاعلام ومنبع الافاضل ومفزع
 الامائل ثم كتبه الناس بعده واقنفوا أثره ومجده وتفرقوا به في البلدان
 ولم يبق عندي الا نسخة الاصل والله المستعان فاستعارها بعض الحنفية
 ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت الى عظيم وزر فقدتها فتأثرت لذلك
 وأعدت النظر فيما لأئمة المناقب من المسالك الى ان ظفرت بكتاب جامع فيها
 لصاحبنا الشيخ العلامة الصالح الفهامة الثقة المطاع والحافظ المتبع الشيخ
 محمد الشامي الدمشقي ثم المصري فلنخصت مقاصده ونقحت مصادره وموارده
 في هذا الكتاب البديع الجامع المحكم المنيع (وسميته) الخيرات الحسان
 في مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رحمة الله عليه وربته على
 مقدمات ثلاث وأربعين فصلاً



﴿ المقدمة الاولى ﴾

اعلم ان بعض المتعصبين ممن لم يمنح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للامام الغزالي فيه من التعصب الفظيع والحط الشنيع على امام المسلمين وأوحد الأئمة المجتهدين أبي حنيفة رحمه الله ما تصم عنه الأذان ويقول عند سماعه الموفق المتصف ليت ذلك ما كان كيف وقد أدى ذلك شمس الأئمة الكردري الي ان بسط الكلام في رد ذلك الكتاب وقابل مؤلفه مقابلة الفاسد بالفاسد فشنع على الشافعي رحمه الله أعظم من ذلك التشنيع وبسط الكلام بما لا يحمد من التصنيع كل ذلك منه بناء على أن ذلك الغزالي هو الامام محمد حجة الاسلام وليس هو هو لما يأتي في احيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بعلي كاله وأيضاً فلأن النسخة التي رأيتها مكتوب عليها ان هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الاسلام ومن ثمة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الاسلام قال بعض محققي الحنفية ممن أخذ العلم عن المولى سعد الدين التفتازاني وتفرض أن ذلك صدر عن الغزالي حجة الاسلام فهذا انما صدر عنه حين كان متلبساً بعلوم الجدل وحفظ طلبه العلم وأما في آخر أمره حين تخلى عن تلك الحفظ وأفيضت عليه سجلات المعارف والشهود فقد عرف الحق لاهله وأقره في محله والدليل على ذلك كلامه في الاحياء انتهى ولا بأس بذكر خلاصة كلامه في الاحياء ليعلم نزاهة مؤلفه حجة الاسلام مما نسب اليه وقبل ذلك تقدم عليه مقدمة * وهي ان بعض علماء الهند اختصر الاحياء اختصاراً بليغاً سماه عين العلم لم يسبق الي مثل اختصاره. مع تعدد مختصره فانه أشار الي مقاصده في أوراق قليلة تكاد ان تكون من جوامع

العكلم فلذا وضعت على كتابه شرحا له لانه لفرط ما فيه من الایجاز يكاد أن يعد من الالغاز وعبارة ذلك المختصر مع عبارة شرحي له وتمام العبارة ستأتي في آخر الورقة الثانية والاولى ان يختار من الأئمة الاربعة من ظن انه أفضل الاربعة وأعلمهم لأن نفسه حينئذ تنقاد الى قوله وتخضع لرأيه وتبادر الى امثاله والعمل به أكثر ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي رحمة الله عليهم امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه أو يكون اتباعه فيه أكثر كاقليم الحجاز واليمن وهصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي رحمه الله وكالعرب على سعته بالنسبة لمالك رحمه الله وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة رحمه الله ومن ثمة قال المصنف كأبي حنيفة رحمه الله عندنا معشر الحنفية فقد ورد من طرق أي يأتي الكلام عليها مبسوطاً قريباً أبو حنيفة سراج أمتي وفضله رحمه الله وما اشتهر عنه من العبادة والورع والزهد والسخاء ودقة النظر وحدة الفكر يعني عن أن يستدل لفضله بما أطبق المحدثون على وضعه وسمع في المنام الباري تعالى يقول أنا عند علم أبي حنيفة أي بالحفظ والقبول والرضا وازال البركة فيه وفي الآخذين به وسلم المخالفون سبقه في الفقه ومن ثمة قال الشافعي رحمه الله الناس في الفقه عيال علي أبي حنيفة وقال أيضاً من أراد ان يعرف الفقه فليزِم أبا حنيفة وأصحابه وقال أيضاً قلت لمالك كيف رأيت أبا حنيفة فقال رأيت رجلاً لو كلك في السارية ان يجعها ذهباً لقام بحجته ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية أن الركعتين كانتا صلاة الصبح وانه لم يفت فقيل له في ذلك فقال أدباً مع هذا الامام ان أظهر خلافه بحضرتة وقال الفضيل بن عياض وناهيك به جلالة كان أبو حنيفة معروفاً بالفقه مشهوراً بالورع ومن عظيم ورعه ما قال الامام عبد الله بن المبارك انه أراد شراء أمة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشتري وقال النضر

ابن شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن أخذت العلم قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي وعن أصحاب ابن مسعود عن ابن مسعود فقال المنصور لقد استوتقت ومع ذلك أراد هلاكه في وقائع جرت له معه وراوده على أن يلي القضاء فلم يقبل فضرب مائة سوط وحبس الى ان مات في الحبس على قول وضرب أيضاً عشرين سوطاً على أن يلي أمر بيت المال فأبى ان يقبل وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين أو عن أصحابه أخذنا ببعض أقوالهم ولم نخرج عنها أو عن التابعين زاحمناهم وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يجي نصفه فأشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذي يجي كل الليل فلم يزل بعده يجي كل الليل وقال أنا استحي من الله ان أوصف بعبادة ليست في وقال بعضهم ما رأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من أبي حنيفة انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة وسمع هاتفاً في المنام وهو في الكعبة يقول أن يا أبا حنيفة أخلصت خدمتي وأحسنيت معرفتي فقد غفرت لك أي لما كنت عليه من اخلاص الخدمة باحياء كل الليل وصيام أكثر الدهر وبذل الجهد في نشر العلم على الوجه الاكمل واحسان المعرفة باتقان العلوم الظاهرة والباطنة والاخلاص فيها ورفض الدنيا والاعراض عنها رأساً والاقبال على الآخرة وبذل الوسع في تحصيل أسبابها ومن هذه صفاته أقرب الى رجاء المغفرة له على وجه مخصوص لا يبقى له ذرة تقصير ولمن اتبعك ببركة اخلاصك واحسانك للمذكورين الى قيام الساعة وفي هذا من البشرى له ولاتباعه ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته في اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من تلك الاخلاق العلية والصفات الطاهرة الزكية التي قل أن تجتمع الا للعارفين والأئمة

للجهدين وتعلمذ له من كبار المشايخ الأئمة المجتهدون والعلماء الراسخون كالامام
 الجليل الجمع على جلالته وبراعته وتقدمه وزهده عبد الله بن المبارك
 وكالامام الليث بن مسعود وكالامام مالك ابن أنس وناهيك بهؤلاء الأئمة
 وكالامام مسعر بن كدام وزفر وأبي يوسف ومحمد وغيرهم وتحمل لتقلد القضاء
 أي لاجل أن يتولاه وكذا مفتاح خزائن بيت المال ما تحمل من العقوبة
 والضرب الشديد لما أبي عن ذلك ايثاراً لعذاب الدنيا على عذاب الآخرة
 ومن ثمة لما ذكر عند عبد الله بن المبارك قال أتذكرون رجلاً عرضت
 عليه الدنيا بخذاقيرها ففر منها وما خالط الظلمة مع سؤالهم له في ذلك
 والحاحهم عليه وتهديده ان لم يفعل وما قبل منهم شيئاً قط وان قل ومن ثمة
 لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن
 القحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماداً انه اذا مات ودفن يردها للحسن
 ففعل فقال له رحمة الله على أبيك لقد كان شجاعاً على دينه وما اشتغل
 بالدعوة أي بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية في المنام اليه
 ليدعوهم الى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً
 لنفسه عن أن يجعل لها حظاً أو يرى منها أو لها فعلاً حسناً يستحق أن
 يجعل دعاية الناس الى الاقتداء والعمل به فلما جاءه الاذن ممن فوّضت اليه
 قسمة خزائن الله تعالى على مستحقها علم أن ذلك أمر حتم لا بد منه فدعا
 الناس اليه حتى ظهر مذهبه وانتشر وكثرت أتباعه وخذلت حساده ونفع
 الله به شرقاً وغرباً ومعجماً وعرباً ورزق حظاً وافراً في أتباعه فقاموا بحري
 أصول مذهبه وفروعه وأمنوا النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد
 الله محكم القواعد معدن القوائد ويؤيد ذلك ما حكاه بعض أصحاب المناقب
 أن نابتاً والده أنى به وهو صغير لعلي كرم الله وجهه فدعا له بالبركة ولذريته
 فكان ما أوتيته أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة وما استظل بمحاطئ المديون

حين أنه متقاضياً تورعاً منه عن أن يرتفق بشيء من آثار مدینه واعلاماً للمعجز
 أنه لا يرغب في رفق منه فإن قبوله منه وإن قل بطريق الشرع يتنافى كمال المروءة
 والورع ومحاسن الاخلاق وكان له رحمه الله من ذلك ومن تجنب الشبهة
 ما أمكنه الحظ الوافر ومن ثمة تصدق بجميع مال أتى به وكيهه اليه لما خلط
 به ثمن نوب معيب ببيع حال كونه مخفياً عيه من بائعه فهو وإن لم يكن عليه
 اثم لجهله لكن فيه شبهة ما وإنما لم يرد ثمنه لمشتريه ويسترده كأنه للجهل
 بالمشترى مع اليأس من العلم به فتصدق به كما يأتي مبسوطاً في باب التوبة قيل
 وكان المال ثلاثين ألفاً ووقع له نظائر لذلك متعددة كما في كتب المناقب ومن
 عظيم ورعه وزهده مامر من قصة الجارية التي أراد ان يشتريها ومن ذلك أيضاً
 انه ترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة الى أن علم موتها لأنه سأل عن
 أكثر ما تعيش فقيل له سبع سنين فترك أكل لحمها سبع سنين تورعاً منه
 لاحتمال أن تبقى تلك الشاة الحرام فيصادف أكل شيء منها فيظلم قلبه اذ هذا
 هو شأن أكل الحرام وإن انتفى الائم للجهل بعين الحرام ولاجل ذلك فاز
 أهل الورع بمسابقوا به غيرهم من نور القلوب وتأهلهم لشهود المحبوب
 وقيامهم في خدمته بحسب طاقتهم واعراضهم عن القواطع عنه طوق مقدرتهم
 وليس ما ذكر من مناقب هذا الامام يراد به حصر مناقبه فيه بل هو قطعة
 من بحر لا ساحل له ومن غرورها انه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة
 فقيل له ما الذي قواك على هذا قال اني دعوت الله بأسمائه على حروف المعجم
 وهي مجموعة في كل من آيتين الاولى محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح
 والثانية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة فاعسا الآية في سورة آل عمران وأنه
 كان يحتم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار الى غير ذلك من
 مناقب أخر له يعسر تعدادها فرحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه وجعل جنات
 الفردوس متقلبه ومثواه انتهى كلام مختصر الاحياء مع شرحي له وبه يعلم

براهة الامام الغزالي حجة الاسلام عما نسب اليه من التعصب حاشاه الله منه

﴿ المقدمة الثانية ﴾

في بيان أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطائِب جهلها إذ به يقع في ورطة عظيمة ومهواة قبيحة غير مستقيمة فتعين ابرادها أولا وايضاح ماله بها تعلق مجلا ومفصلا * * منها عليك أيها الموفق ان أردت النجاة في الآخرة والسلامة من خطر الوقعة في أحد من أولياء الله تعالى ووراث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ان تعتقد أن كل واحد من الائمة المجتهدين والعلماء العاملين على هدى من الله ورضوان وامم كلهم مأجورون في سائر الحالات باتفاق ائمة النقل والبرهان وقد روي البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به فلا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني فان لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة فقيه إخباره صلى الله عليه وسلم باختلاف المذاهب بعده في الفروع من منذ زمن أصحابه الذي هو زمان الهدى والارشاد المشهود له من مشرفهم بأنه خير القرون على الاطلاق ويزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لأن كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضي به صلى الله عليه وسلم وأقرهم عليه ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للامة وخيرهم في الأخذ بقول من شاؤا من أصحابه اللّازم له الأخذ ويقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم وقد أقر صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه ولم يعترض أحدا فيما قاله وراه مخالفا لما قاله نظيره وراه كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة من ذلك قصة اختلافهم في أسرى بدر

فأبو بكر ومن تبعه أشاروا بأخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعه أشاروا بقتلهم
فحكّم صلى الله عليه وسلم بالأول ونزل القرآن بتفضيل الرأي الثاني مع
تقرير الرأي الأول ففيه أوضح دليل على تصويب الرأيين وإن كلا من المجتهدين
مصيب ولو كان الرأي الأول خطأ لم يحكم به صلى الله عليه وسلم وقد أخبر
تعالى بأنه عين حكمه بقوله لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقوله
تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وإنما وقع العتب على اختيار غير الأفضل
ومن ثمة كان أكثر ما يقع الترجيح في المذاهب بالنظر إلى الأفضل من حيث
قوة الأدلة والقرب من الاحتياط والورع وذلك في مسائل معدودة لأن
حيث مجموع المذهب وأما بالنظر إلى التصويب فكله صواب وحق لا شبهة
فيه ومن هنا كانت طريقة الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي الأشد
والأحوط في كل مسألة بحيث يخرجون من جميع الأقاويل ويأتون بعبادة
مجمع على صحتها ويوافق ذلك قول أئمتنا بسن الخروج من كل خلاف لم يضعف
مدركه ولم يخالف سنة صحيحة أي بخلافه صريحة لا يمكن تأويلها وقد صرحوا
بأنه يسن الوضوء من كل ما قيل فيه أنه ناقض وكان ابن شريح يغسل أذنيه
مع وجهه ويمسحهما مع رأسه ويمسحهما منفردتين احتياطاً في الكل وخروجاً
من الخلاف * * * ومن ذلك أيضاً قصة اختلافهم في قوله صلى الله عليه وسلم
حين أراد غزوة بني قريظة لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة فانهم لما
خرجوا من المدينة إليهم وقد ضاق وقت الظهر اختلفوا فصل جماعة منهم
الظهر خشية خروج وقتها واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك
تحريضاً على الاستعجال ولم يرد إخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص
معنى ينوون به أن الحصر في قوله إلا في بني قريظة إضافي لا حقيقي وأمتنع
آخرون عن صلاة الظهر إلى أن وصلوا بني قريظة بعد دخول وقت العصر
واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم أطلق الحصر ولم يبينه فكان المراد به حقيقته

ثم بلغه اختلافهم وفعلمهم فلم ينكر على أحد من الفريقين وأقر كلا على ما فهمه
 إشارة إلى أن الكل مجتهدون مأجورون على هدى من الله تعالى فلا لوم على
 أحد منهم ولا ينسب إليه خلل ولا تقصير ولا سيما مع استحضارك لقوله صلى الله
 عليه وسلم فأبما أخذتم به اهتديتم فجعل الكل مهتدين فكيف مع ذلك ينسب
 لأحد منهم خطأ أو تقصير وأخرج بن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه
 أنه قال كان اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وأخرج
 ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قال ما يسرني باختلاف
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حمر النعم رواه البيهقي بلفظ ما يسرني أن أصحاب
 محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما أراد
 هرون الرشيد أن يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له
 مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا
 في الفروع وتفرقوا في البلدان وإن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه
 الأمة كل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدي فقال له هرون وفقك
 الله يا أبا عبد الله ووقع له ذلك مع المنصور أيضاً لما أراد أن يرسل إلى كل مصر
 نسخة من كتب مالك ويأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره فقال
 له مالك لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا
 روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا بها من اختلاف الناس فدع الناس
 وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم وبما تقررون يظهر اتجاه القول بأن كل مجتهد
 مصيب وإن حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو أحد القولين للأئمة
 الأربعة ونسب ترجيحه لأكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيه الخبر
 المصحيح المصرح بأن للمصيب أجرين وللمخطئ أجر لأنه محمول كما قال
 الحافظ الجلال السيوطي على أن الخطئ من المجتهدين إنما أخطأ في عدم ادراكه
 الأفضل والأولى كما ثبت على الصحابة في اختيار الفداء لأنه غير الأفضل

مع انه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بأن ثلاث ركعات منها الى غير القبلة واختلاف اجتهاد عمر رضى الله عنه في الحد يقضي فيه بقضايا مختلفة وكان يقول ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى وأخرج البيهقي مرسلان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي القضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول انتهى وفيما قاله واستدل به نظر واضح لاسيما ما ذكره آخرأ إذ اجتهاده صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ على الصواب بخلاف اجتهاد غيره ونقل الكردوي عن الشافعي رحمه الله ان المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاءا بشريعتين مختلفتين وكلاهما حق وصدق وقال الامام المازري القول بان الحق في طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق من العلماء والمتكلمين وهو مروى عن الأئمة الأربعة واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم جعل له أجراً ولو لم يصب لم يؤجر وأجابوا عن اطلاق الخبر بانه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه وأما من اجتهد في مسألة ليس فيها نص أي قاطع ولا اجماع فلا يطلق عليه الخطأ وأطال الامام المازري في تقرير ذلك وفي الشفاء لعياض القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه ونعتقد ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد والسفيانين والأوزاعي وابن جرير وسائر أئمة المسلمين علي هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه فقد أوتوا من العلوم الدنية والمواهب الالهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذي لا يسامى انتهى ورأى بعض الأئمة النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كل في

اجتهاده مصيب فذكر له الراي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيدان والحق في واحد وقول الشافعي المجتهدان مصيب ومخطي* معفو عنه فقال صلى الله عليه وسلم هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ فقلت أيهما أولى بالأخذ من الفريقين فقال صلى الله عليه وسلم كلاهما على الحق* ومنها عليك أيضاً ان تعتقد ان اختلاف أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف أدركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك ان الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والانتقال التي كانت على الأمم قبلها كتحم القصاص في شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرفة وتحم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء في شرعنا وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازها في شرعنا ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة وككتبهم قائمها لا تقرأ إلا على حرف واحد وكتابتنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله عزنا* وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لتكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شيء واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عاياه وحتى ان من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق لاسيما وهي مؤذنة بغاية رفعة صلى الله عليه وسلم وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم في الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه

وان فرض خطأه وقد قرر السبكي ان جميع الشرائع السابقة شرائع له صلى الله عليه وسلم والأنبياء صلوات الله عليهم كالنواب عنه لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو إذ ذاك نبي الانبياء وهذا هو معني قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة فهو مبعوث الى الخلق كلهم من لدن آدم الى قيام الساعة انتهى واذا تقرر ان شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استتبها أحبابه وتابعوهم باحسان من أقواله وأفعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصاً وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمة اي رحمة ومنة أي منة كما مر بيان ذلك ومن ثمة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بان اختلاف الامم السابقة هلاك وعذاب اي لانهم لم يوسع لهم كما وسع لهذه الامة فكان اختلافهم محض كذب وتقول على انبيائهم بما هم بريئون منه * ومنها يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه ان لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلاً يؤدي الى تقيص المفضل عليه فان ذلك يؤدي الى المقت والحزى في الدنيا والآخرة وسيأتي عن الله تعالى انه قال من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وعلماء المسامحين العاملين كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثير ما يؤدي التفضيل الى الخصام القبيح بين السفهاء ومن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى الى أن يظهر من بعضهم قبيح المعصية وحمية الجاهلية وينفضي ذلك بهم الى ترجيح مذهب امامه واطلاق لسانه في غيره بعدم أدب وغفلة تامة عما يترتب بسبب ذلك من المقت والحزى والى أن ينتصر بعض مقلدى مخالفيه لامامه فيرد على الاول ويطلق لسانه فيه ويتعمد الى امامه ويطلق لسانه فيه زاعماً ان ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كل منهما على امامه لزرجه عنه وتبرأ منه وهجره لاجله ولو قوعه بتقيح ما ارتكبه في شرك المقت والردى اذ ربما أيس من موته على الهدى وقد أخبر

ابن عباس رضى الله عنهما بان سبب هلاك الامم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وغير هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الأئمة قاتنا نجبهم ونعظهم بما نرجو به ان نحشر معهم علي الارائك اذ من أحب قوماً حشر معهم كما أخبر به مورثهم ومشرفهم وكفى من انتقص أحداً منهم أن يحرم هذه المرافقة في ذلك الجمع الاكبر وان ينادى عليه فيه هذا عدو أولياء الله فليس له الا الخزي والعذاب في المحشر

﴿ المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(بالامام ابي حنيفة رحمه الله)

اعلم ان أعظم ذلك وأجله وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازى والطبرانى عن قيس بن سعد بن عبادة والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولفظ الشيرازى وأبي نعيم لو كان العلم معاقماً عند الثريا ولفظ الطبرانى عن قيس لا تنالته العرب لئلا رجال من أبناء فارس ولفظ مسلم لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس قال الحافظ المحقق الجلال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله وفي الفضيلة الثامنة له نظير الحديث الذى في مالك رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم بوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة والحديث الذى فى الشافعى رحمه الله وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الارض علماً وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيفوه وشنعوا

علي زاعمه ومخترعه قال العلماء عالم المدينة في الحديث الاول مالك وعالم قريش في الحديث الثاني الشافعي قال بعض تلامذة الجلال وما جزم به شيخنا من أن الامام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لاشك فيه لأنه لم يبلغ أحد اي في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بقارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي ان جد الامام أبي حنيفة منهم علي ما عليه الا كثرون وفي خبر عند الديلمي خير العجم فارس قال الجلال وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة رحمه الله قال تلميذه المذكور أشار شيخنا بهذا الى رد ما ذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث فان في مسنده كذابين وضاعين ولفظ خبرهما يكون في أمي رجل يقال له ابو حنيفة هو سراج أمي الي يوم القيامة وفي لفظ يكون في أمي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمي هو سراج أمي وفي لفظ سيأتي من بعدى رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة بحجى دين الله تعالى وسنتي على يديه وفي لفظ في كل قرن من أمي سابقون وأبو حنيفة سابق هذه الامة وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما يطلع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر على جميع خراسان يكنى بابي حنيفة وفي لفظ آخر عنه ان الرأي لحسن وانه يكون بعدنا رأى حنيف تجرى به الاحكام ما بقى الاسلام وانه كرايتنا وأحكامنا يقوم به رجل يقال له النعمان بن ثابت الكوفي ويكنى بأبي حنيفة وهو من أهل الكوفة جهبذ في العلم والنقح يصرّف الاحكام على وجهها حنيفة الدين والرأي الحسن وفي لفظ عن ابن سيرين انه لما قص عليه منامه الاتي قال له اكشف عن ظهرك ويسارك فكشف فرأى بين كتفيه أو عضد يساره خالا فقال صدقت أنت أبو حنيفة الذي قال رسول